الطوائف التي انتفت محبة الله عنهم صراحةً في القرآن الكريم

بدير علي محسن الحايطي
كلية التربية والعلوم التطبيقية والآداب -جامعة عمران
Albdr484@gmail.com

DOI: https://doi.org/10.56807/buj.v2i3.99

الملخص

يهدفَ هذا البحث إلى بيان الطوائف التي نفى ربنا عز وجل عنهم محبته صراحةً في القرآن الكريم، وهم عشرة أصناف، سلك الباحث فيه المنهجية الموضوعية، وكذا الآستقرائية والتحليلية، مستعيناً في ذلك بأبرز كتب التفسير وعلوم القرآن ومعاجم اللغة المعتبرة، واشتمل هذا البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة، تضمنت المقدمة أهمية البحث وأسباب اختياره، وأهدافه، وحدوده، ومنهج البحث وخطته، وجاء التمهيد لتأصيل صفة البُغض، وتضمَّن المبحث الأول مجموع الطوائف التي انتفت عنهم محبة الله، بينما جاء المبحث الثاني لبيان الآثار المترتبة عن انتفاء محبة الله عن العبد، وخُتم البحث ببيان أهم النتائج والتوصيات التي خلُص إليها الباحث، ومن أبرزها:

أنَّ القرآن الكريم قد صرَّح بذكر عشر طوائف انتفت عنهم المحبة الإلهية، وهم: (المعتدون – المفسدون – الكافرون – الظالمون – أهل الفخر والخُيلاء – الخائنون – المجاهرون بالسوء من القول – المسرفون – المستكبرون – الفرحون من أهل البغي)، وأنَّ انتفاء محبة الله عن العبد تعني استحقاقه البغض والكره والسخط، والطرد من رحمته، أضف إلى ذلك أنَّ ثمَّة أسبابًا هي مَن حرمت هذه الفئات محبة الله، وجلبت لهم ذلك الخسران، وقد ورد ذكرها بألفاظٍ صريحة في القرآن الكريم؛ ترهيباً منه جلَّ ثناؤه لعباده؛ ليتجنبوا إتيانها.

الكلمات المفتاحية: الطوائف- انتفت محبة الله- صراحةً- في القرآن الكريم.

المقدمة

الحمد لله واسع الرحمة والمغفرة والإحسان، ذو القوَّة والجبروت صاحب العظمة والامتنان، وصلاةً وسلاماً على نور الهداية سيد ولد عدنان، سيدنا محمدٍ وعلى آله مدى الأعصُر والأزمان، وبعد:

فقد منَّ الله عليَّ ووفقني _منذ زمنٍ ليس بالبعيد_ لجمع وإخراج بحثٍ متواضع، حظيَ بالاهتمام والنشر من قِبل بعض الجهات المختصة، والمجلات المعتبرة، وكان بعنوان: (الأصناف الذين اختصهم الله بمحبته في القرآن الكريم)، وفي أثناء مرحلة كتابة ذلك البحث وجمع مفرداته، دار في خَلدي ووقع في وجداني حينها رغبة استكماله مستقبلاً بما يناسبه من إضافات، وقد حثَّني _صراحةً وشجعني _ بعض الفضلاء من زملائي وأساتذتي في نفس التخصص، وغيرهم ممن قرأ وطالع البحث، وذلك بخوض غمار الموضوع الجديد، نظراً لارتباطه بالبحث السابق وقوة صلته به، وإيماناً بأن ذلك قد يُتمِّم فائدته ويُكمِّل أركانه، إذ كانت قد استوقفتني في كتاب الله آياتٍ كريمة، فصَّلت موانع المحبة الإلهية، فوجدت نفسي منهوماً بالبحث عنها والإبحار بأعماق محيطها، فعقدتُ العزمُ حينها أن أُواصلَ الجهد، وأبذلَ المستطاع، مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه لكتابة هذا البحث _وهو ما نحن بصدد دراسته وعرضه_ وهو بعنوان: (الطوائف التي انتفت عنهم محبة الله صراحةً في القرآن الكريم) ليكون كالمقابل بل والضدِّ لتلك الأصناف السابقة، ممن سبقت لهم الحسنى من المولى عز وجلّ، فاصطفاهم وخصَّهم بمحبته، والضدُّ _كما هو معلومٌ_ يُظهِرُ حُسْنَه الضدُّ.

وليس بخافٍ على أحدٍ أنّ الله تبارك وتعالى فَطَرَ عباده على التعلُّق به والتقرُّب منه، بل وجبلهم على الالتجاء إليه والتوكل عليه، ولا شك أن أنفع المحبة على الإطلاق، بل وأوجبها وأعلاها وأجلَّها، محبة من جُبلت القلوب على محبته، وفُطرت الخليقة على تأليهه، فهو وحده تبارك وتعالى مَنْ تألهه القلوب بالمحبة والإجلال، والخضوع له والتعبُّد؛ لهذا صارت محبته هي أصل الدين، وأعظم أركان العبادات القلبية، والسبب الحقيقي للفوز برضا الرب، واستحقاق فضله ومغفرته، لأن الله تعالى يُحَبُّ لذاته من جميع الوجوه، وما سواه فإنما يُحبُ تبعاً لمحبته، وقد دلَّ على وجوب هذه المحبة جميع كتبه المنزَّلة على رُسله، بل وفطرته التي فطر عباده عليها، لهذا غدا أعظمُ الخَلْقِ ديناً هو أكملهم حباً لله تعالى، وتعظيماً له، وخوفاً منه.

ولكن ليست الغاية العظمى والحكمة الجليلة مقتصرة في محبتك لله، بل الغاية الأسمى والأجلّ التيقُّن من حبِّ الله لك، ورضاه عنك، وهذا الأمر رغم عظمته وجلالة قدره، إلا أن بلوغه ليس بالمُحال، ولا نيله مما يستوجب إتيان الصعب الممتنع من الفِعال، أو يتطلب ملازمة مشاقّ الزهد والرهبنة، وتكلُّف أهل الكمال، فقد يسَّر ربُنا إدراكَها لمَن هيَّأهم لنيلها واصطفاهم لبلوغها، كل ذلك ليُؤكد لنا أن فضله واسعٌ، وأنه _تبارك وتعالى_ لا يُريد لعبده إلا الخير والرحمة والتيسير، فلا يخفى على كل ذي عقلٍ حاضر، ونظرٍ باصر، أنَّ مِن أوجب وألزم ما يجب على المؤمن _عند خوضه لغمار ومكنون هذا الكتاب العزيز بحثاً وتدبراً_ أنْ يُوطِّن نفسه للعمل الصالح، ومعرفة فضائل الأعمال ومكارم الخصال، التي يحبها الله و يرضاها، ويسعى لنيل مرضاة الله، بل ويطمح للفوز بمحبته، ويعرف بالمقابل المحظورات والمنهيات الكامنة بنصوص التنزيل؛ خشية الزلل بإتيانها، أو الانزلاق بوحلِ وديانها، أو حتى الولوج في متشابهها بجهالةٍ وغواية، أو قلَّة عِلم ودراية.

ولمَّا كانت محبة الله للعبد بهذا القدر من العظمة والأهمية، تسابق إليها أهل التوفيق، وتنافس فيها أهل الإيمان؛ لنيل مرامها، وتعاطي مكملاتها، واستكمال أسباب زيادتها، ومعرفة لوازمها، واستحضار ما يُحبه الله وما يُبْغِضُهُ، من الأقوال، والأعمال، والأوصاف، والأشخاص، والأزمنة، والأماكن، لأن المُحبَ لمن يحبُ مطيعُ.

كما يجب على المؤمن اللبيب أن يُدرك ويتيقن أنَّ ربنا جلَّت عظمته _كما منح محبته لأصنافٍ مخصوصين من عباده، فسمَّاهم لنا_ قد ذكر لنا بالمقابل فئات مخصوصة نفى عنهم محبته صراحةً، وسمَّاهم أيضاً لنا، وأورد معهم أعمالاً محددةً، هي بعينها من أوصلتهم لهذا الخسران المبين، وجلبت لهم هذا البؤس والنكال، وأبعدهم عن رحمته، وأورثتهم غضبه وعقابه، وقد صرَّح جلَّ ثناؤه بهذه الأعمال، وخلَّد ذكر أصحابها في الغابرين والخاسرين؛ رحمةً منه بنا، لنكنْ على درايةٍ بها، وعلى علمٍ بعواقبها، فنفرُّ مِن ورودها، وننفرُ مِن واردِيها، وهذا البحث المتواضع سيرتكز الحديث فيه حول معرفة هذه الخصال والأعمال، فنتناول سمات هؤلاء المُبعدين وصفاتهم، ونعرف ما معنى أن ينفي الله محبته عن العبد، وما العواقب والآثار الملازمة لذلك، كلُّ ذلك سنحاول _بإذن المولى عزَّ وجلّ_ تقريبه والإجابة عليه بمنهجيةٍ علمية، بعيداً عن التطويل الممل، أو الإيجاز المُخل، متوشحين سيف الحجة باستحضار نصوص التنزيل، ومستندين في إيضاح المراد بالسنَّة الصحيحة المعتبرة في بيان الدليل، ومعتمدين على تسديده تعالى فمنه التوفيق وهو يهدي السبيل.

مشكلة البحث:

لا يخفى على أحدٍ ما يعانيه مجتمعنا المسلم _تحديداً في عصرنا الراهن_ من تخبطٍ وعشوائية،

جرَّاء البُعد عن الشرع الإلهي، وموالاة أعداء الله، والتزلُّف إليهم ومداراتهم، والتقرُّب إليهم بذلٍ وهوان، والتأثر الواضح والجليّ بقوانينهم الوضعية وثقافاتهم وأفكارهم التحررية، فأوجد ذلك حالة من الانفصام في حياة الشباب المسلم، فصار الفرد المسلم غارقاً في وحول المخالفات والمحظورات من حيث لا يشعر، بل قد يُوشك أن يبتعد عن فلكِ الهدى ومدار الإسلام وهو لا يُدرك ذلك، كلُّ ذلك بسبب الابتعاد عن الهُدى، وضعف الوازع الديني وقلَّة الوعي.

وبناءً على ما سبق تتحدد مشكلة البحث في الإجابة على التساؤلات الآتية:

- ما الصفات والأعمال التي تهدم علاقة العبد بخالقه، فتُورثه بُغضَ مولاه، وتحرمه حبَّه ورِضاه عنه؟

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تأتي أهمية البحث وأسباب اختياره _على حد علم الباحث_ من أهمية الموضوع الذي يتناوله، وقلَّة الدراسات السابقة فيه، وتبرز الأهمية من خلال عدة نقاطٍ، من أهمها:

1- الرغبة الشديدة _بل والتعبدية_ في خدمة هذا الكتاب العزيز، والخوض بغمار هداياته وأنواره، باعتباره منهجاً شاملاً لأمور الدنيا والدين، ونوراً ساطعاً للبيان والتبيين.

2- تكمن أهمية هذا البحث فيما سيتناوله من مسائل دقيقة، تتعلق بنيل محبة الله أو الحرمان منها، فتتوقف عليها العاقبة، ويتحدد بها المصير.

3- يُؤمل الباحث أن تفيد مثل هذه الدراسة في توعية المجتمع كافة، فيستفيد منها الدعاة والمربون خاصة، والجهات المسؤولة عن التربية والإرشاد عامة، وذلك من خلال تضمين مادة هذا البحث ضمن المناهج الدراسية، وتوظيفها في الدعوة والإرشاد والوعظ والخطابة.

4- يرى الباحث أنَّ في جمع متفرقات مثل هذا الموضوع وترتيب عناصره، وتقريب مضمونه، واستخلاص الآثار المترتبة عليه؛ إضافة نوعية للمكتبة اليمنية والإسلامية، ومنهجية مرغوبة يتسنى بها للباحث والمطلع الاستفادة بسهولة ويُسر.

أهداف البحث:

يروم هذا البحث تحقيق الأهداف الآتية:

1- معرفة الفئات التي انتفت عنهم محبة الله، فاستوجبوا غضبه، واستحقوا عقابه، وكذا الكشف عن الأسباب والأعمال التي أورثتهم هذا الجزاء؛ ليعتبر بهم غيرهم.

2- بيان الآثار المترتبة على انتفاء محبة الله للعبد، والنتائج المصيرية التي تتعلق بها.

حدود البحث:

اقتصر البحث _كما أسلفنا_ على بيان الطوائف التي نفى الله عنهم محبته، بلفظٍ صريح في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

بعد التقصي والبحث في المكتبات والموسوعات ومحركات البحث لم أجد من أفرد هذا الموضوع ببحثٍ مستقل، على الرغم من أن مفرداته مبثوثة في بطون كتب التفاسير وغيرها من الكتب الشرعية، بالإضافة إلى وجود مقالاتٍ صغيرة تشير إلى ذلك، بل ومقاطع صوتية ومصوَّرة، لكنها في جملتها عبارة عن خُطبٍ وعظية ودعوية، تفتقد منهجية البحث وتأصيل مفرداته، أو تتناول فقط متفرقات وجزئيات من الموضوع، كسرد الآيات مثلاً، أو تِعداد الصفات دون دراستها وبيان فحواها، ومن هذه الدراسات:

- دراسة بعنوان: "محبة الله في الكتاب والسنة" للباحثة (سميرة أحمد مصطفى مجدوبة) أطروحة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في قسم أصول الدين بكلية الدراسات العليا جامعة النجاح الوطنية نابلس، فلسطين، في العام 2007، حيث أفردت الباحثة الموضوع ضمن الدراسة بمبحثٍ مستقل تحت عنوان: "الخصال التي يبغضها الله تعالى"، فذكرت خمس خصالٍ فقط وأغفلت بقية الخصال الخمس، بل واكتفت الباحثة أثناء الدراسة بإيراد الآية الدالة دون التعرض لتفسيرها وبيان مدلولها، وأسهبت في جمع الآيات ذات الموضوع الواحد، وكذا النصوص الحديثية، مما جلب الإطالة وغيَّب المراد، نتيجة كثرة التفريعات، بخلاف ما أوضحناه بهذا البحث مِن توضيحٍ وبيان، وتركيزٍ على المراد دون تفريعٍ أو إطالة.

- هذا بالإضافة إلى بعض المصنفين القدامى من أهل الفضل والعلم، ممن كتب في هذا الموضوع، وضمَّنه بعض مصنفاته، ولكن كان جلّ اهتمامهم هو الحديث عن مفهوم المحبة وحقيقتها عموماً، وبيان أسماء المحبة وأنواعها، ودرجاتها ومراتبها، دون تحديد لمجموع الأصناف الذين نفى الله عنهم محبته، ومِن هؤلاء المُصنفين: (الإمام الغزالي في كتابه الإحياء، وابن قيم الجوزية في مدارج السالكين، وكتابه روضة المُحبين)، لذا رأى الباحث أنَّ من المناسب بل والضروري جمع وترتيب وتنسيق مثل هذا الموضوع وإفراده بالبحث؛ ليسْهُل تناوله وورود مَعِينِهِ، فينهل منه المطّلع والقارئ والباحث، فيجدوا ما يروي ظمأهم، ويكفيهم مؤنة البحث والتتبع لجزئيات الموضوع في بطون الكتب والمصنفات المتعددة.

منهج البحث:

اعتمدت في جمع مادة هذا البحث على المنهج الموضوعي؛ لجمع الآيات التي اشتملت على تسمية فئات مخصوصة من الناس، مِمن انتفت عنهم محبة الله، وكذا المنهج الاستقرائي التحليلي؛ لتوضيح المقصود بكل صنفٍ وتجلية معناه اللغوي والاصطلاحي، وبيان أقوال العلماء والمفسرين في تأويل الآيات ومرادها، ومن ثم تحليلها وبيان مدلولاتها، وفيما يلي أبرز ملامح منهج هذا البحث:

1- جمع النصوص القرآنية الواضحة والصريحة في ذِكر وتسمية هذه الطوائف التي انتفت عنها المحبة الإلهية، والاستعانة على تأويلها وبيان مرادها، بالرجوع إلى بعض كتب التفسير المعتبرة، كتفسير (الطبري، الزمخشري، الرازي، القرطبي، البغوي، ابن كثير، الواحدي، الشوكاني... وغيرهم)، والإحالة والعزو إليها إجمالاً عند تمام تفسير الآية.

2- ذِكر الأقوال الواردة في تأويل الآية، دون الاهتمام بترجيحات القائلين واختياراتهم، أو الالتفات لتفريعاتهم وخلافياتهم المتشعبة، إذ الغرض هو إبراز المراد من مفهوم الآية، والتركيز تحديداً على ما يُعزِّز ويُؤيِّد أسباب انتفاء المحبة عن هذه الأصناف.

3- التعريف بمصطلحات ومُسميات الأصناف موضوع البحث، وذلك بعد تفسير الآية وبيان تأويلها.

4- عزو الآيات القرآنية إلى سورها، مع ذكر أرقامها، بعد كتابة نصّ الآية مباشرةً.

5- تخريج الأحاديث بشكلٍ مختصر، فإن كان الحديث في الصحيحين فأكتفي بهما أو بأحدهما، وإن كان في غيرهما فأخرّجه من مصادره الموثوقة، وأذكر حكم بعض العلماء عليه.

6- لم أُترجم للأعلام الوارد ذكرهم بالبحث؛ تجنباً للإطالة.

7- تخريج المفردات الغريبة والمُشْكِلة، وتوثيقها من كتب اللغة والمعاجم المشهورة، والاكتفاء بالمعنى اللغوي المؤيد للنص القرآني، دون الإسراف في بيان اللفظة واشتقاقاتها، أو تناول معانيها المتعددة.

8- تأخير ذكر بيانات المصادر والمراجع إلى أماكنها بالفهرس نهاية البحث.

خطة البحث:

تتوزع خطة البحث على مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، كالآتي:

المقدمة: وفيها أهمية البحث وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطته.

التمهيد: تأصيل صفة البُغض.

المبحث الأول: الطوائف التي نفى الله عنها محبته.

المبحث الثاني: آثار انتفاء محبة الله عن العبد.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته التي توصلتُ إليها.

وأما الفهارس، فاقتصرتُ على فهرسة المصادر والمراجع دون غيرها.

التمهيد: تأصيل مفهوم صفة المحبة والبغض:

لا شكَّ أن نفي محبة الله عن العبد هي الخسارة التي لا توازيها خسارة، فمن حرمَ هذه المحبة استوجب نقيضها وهي الكراهية والبغض، وقبل أنْ نخوض غِمار الموضوع، ونشرع بتعداد هذه الأصناف، يجدر بنا في هذا المقام أن نُمهدْ له بهذه التوطئة اليسيرة، ونشير إلى موضوع مهم، قد يُشكل على البعض، ألا وهو تأصيل صفَة المحبة والبغض في حق الله تعالى، كيفيتها والمراد منها؟ فنقول:

أولاً: مفهوم المحبة عموماً:

1- المحبة عند أهل اللغة: ضدّ البغض والكراهية، مأخوذةٌ من الحُبِّ_بضم الحاء وكسرها_ أي الوداد والمحبة، وفِعلُهُ (أحبَّ)، ومصدره (استحباباً)، وحقيقة الاستحباب: أن يتحرّى الإنسان في الشيء أن يحبّه، والتحبُّب: إظهار الحب، وقيل: أصل المحبة الصفاء، وقيل: مشتقة من اللزوم والثبات، فكأن المُحب قد لزِم قلبه محبوبه فلمْ يرمْ عنه انتقالاً، وقيل: بل مأخوذٌ من الحَبِّ وهو لباب الشيء، والمحبة لفظةٌ دائرةٌ على ألسنة الناس، وتُعتبر رمزاً لتعلُّق القلوب وميلها إلى ما ترضاه وتستحسنه(الأصفهاني،1979م، ص214، ابن منظور،1414هـ، 289/1).

فهذه بعض أقوال أهل اللغة في تعريف الحبِّ والمحبَّة، وقد أحجمنا عن إيراد أقوال غيرهم؛ خشية الإطالة، واكتفاءً بما سبق كون بقية التعريفات متقاربة وتدور في نفس الفلك، فيكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

2-المحبة في الاصطلاح: تعددت أقوال العلماء والمحققين في تجلية معناها وتوضيح مرادها، وسنُجملها في التعريف الآتي:

(هي الميل إلى المحبوب، والتعلُّق به، وانجذاب النفس إليه، أو إرادة ما تراه أو تظنه خيراً) (القاضي عياض،1407هـ، 67/2، ابن القيم،1996م، 17/3).

هذا بالنسبة للمحبة والحبّ عموماً، أما المحبَّة التي هي من قِبل الله تعالى فلا تُشبه محبَّة العباد بعضهم البعض إطلاقاً، لأنه عزَّ وجلّ ليس كمثله شيء، وقد أجمع علماء المسلمين من أهل العقيدة والتفسير على أن المحبة صفةٌ من صفات الله تعالى، قائمةٌ به، لأن القرآن نطق بإثباتها في آياتٍ كثيرة، وتوافدت نصوص السنة على

تقريرها، واتفقوا جميعاً على أنَّه لا يمكن التعبير عنها بما يتبادر إلى الذهن من الشغف والعشق وشهوة النفس، وميل الطبع، وطلب التلذذ بالشيء، ونحو ذلك مما لا يليق في حقه جلَّ شأنه؛ لأن كل ذلك في حق الله تعالى محالٌ بالاتفاق، وفي ضوء ذلك أطلقوا لتفسير المحبة في حق الله تعالى بعض التأويلات، نُجملها ونجمعها في الآتي:

إنَّ المحبة كلمةٌ جامعةٌ لمعاني الخير والنعمة، وأنها في حقِّ الله تعالى عبارة عن: إيصال الثواب والخير مِن الرَّبِّ إلى العبد، وعفوه عنه، وإنعامه عليه، وإثابته إياه، وتقريبه له، والرضا عنه، والإحسان إليه، ومحبة الطاعة منه(الأصفهاني،1979م، ص215، القرطبي،1964م، 60/4، الواحدي،1994م، 429/1، الشوكاني،1414هـ، 459/2).

ثانياً: صفة الْبُغْضُ والكراهية والسُخط:

1-البُغْض لغة: نَقِيضُ الْحُبِّ، وبَغُضَ الرجلُ _بِالضَّمِّ_ بَغاضةً: أَي صارَ بَغِيضاً، وبَغَّضَه اللهُ إِلى النَّاسِ تَبْغِيضاً فأَبْغَضُوه أَي: مَقَتُوه، والبغضاء: شدة الكراهية التي تُضمرُ في النفس، ومثلها السخُط والكُره(الأزهري،2001م، 17/8، ابن منظور،1414هـ، 121/7).

2-وفي الاصطلاح: البُغْضُ: نفورُ النفس عن الشيء الذي يُرغَبُ عنه (ابن عاشور، 1997م، 149/6).

وصفة الْبُغْضُ ومرادفاتها _مثل الكراهية والسخط والغضب_ هي صفةٌ فعليةٌ خبريَّةٌ ثابتةٌ لله عَزَّ وجَلَّ بلفظ الكتاب والسنَّة الصحيحة، وقد فطر الله عباده على قولهم: هذا الفعل يحبه الله، وهذا يكرهه الله ويبغضهُ، وفلان يفعل ما لا يحبه الله ...وهكذا، وعليه فالحب والبغض صفتان متقابلتان، نؤمن بهما كما أثبتهما تعالى لنفسه، دون تأويل، والقرآن الكريم مملوء بذِكْر سخطه _عزَّ وجلّ_ وغضبه على أعدائه، وتلك صفةٌ قائمةٌ به، يترتب عليها العذاب واللعنة، لا أن السخط هو نفس العذاب واللعنة بل هما أثر السخط والغضب وموجبهما، وحين نقول البغض فيلحق به ما يرادفه من الصفات كالسخط والكراهية، وما في معناه من الغضب، بل وكذا الانتقام الذي هو نتيجة لهما، فيثبت ربنا جلَّ شأنه هذه الصفات وينسبها لنفسه في كتابه العزيز، فيقول: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} (محمد:28)، ويقول: {وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ} (التوبة:46)، ويقول: {فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ} (الزخرف:55)، وغير ذلك كثيرٌ من الآيات الدالة على إثبات هذه الصفات وتقريرها في حق الله تعالى(الغزالي، 353/4، السقاف، 2006م، ص89، 198، 293)، التي سنورد قبساً يسيراً منها بهذا المبحث؛ للتأكيد بأنه تعالى نفى محبته عن بعض الفئات والأصناف، فلازمهم بُغضه واستوجبوا غضبه وسُخطه، أما الأدلة على ذلك من السنة النبوية فأكثرُ مِنْ أنْ تُحصى، وسنكتفي بهذين المثالين:

1- قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ...وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ» (مسلم، 2030/4)، وبُغضهُ تعالى للعبد فسَّره أهل العلم _كما أسلفنا_ بإرادة عقابه وانتقامه، أو شقاوته، ونحو ذلك.

2- قوله صلى الله عليه وسلم: «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا» (مسلم، 464/1)، وأحاديث أخرى كثيرة تنصُّ على صفة البغض والكره والسُخط، وأنه تعالى يخلق ما يحبُ وما يكره، فبما أن الأعيان كلها خلقُهُ، ففيها ما يُبغِضُهُ ويكرههُ _كإبليس وجنوده، وسائر الأعيان الخبيثة_ وفيها ما يحبهُ ويرضاه _كأنبيائه ورسله، وملائكته وأوليائه وغيرهم_ وهكذا الأفعال منها ما هو محبوبٌ له وما هو مكروهٌ عنده، ومثلها الأعمال بل والأمكنة والأزمان(الغزالي، 353/4، ابن القيم،1996م، 265/3، السقاف، 2006م، ص89، 198، 293).

المبحث الأول: الطوائف التي نفى الله عنهم محبته صراحةً في القرآن الكريم:

مما يحسُن الإشارة إليه في هذا المبحث أننا سنتناول مجموع الآيات التي جاءت بلفظٍ صريحٍ لتنفي محبة الله عن بعض الفئات، مقتصرين على المعنى الإجمالي للآية، بما يتجلى به المراد ويستبين به المقصود، خاصة فيما يتعلق بسبب نزول الآية _إن وُجد_ وبإيجازٍ تام، وكذا المناسبات الظاهرة التي تبرز عظمة النظم القرآني، ودقَّة الربط والانسجام بين آياته، ملتزمين بذكر الواضح والمفيد، بل والراجح من أقوال المفسرين وتأويلاتهم حول الآية، دون الالتفات إلى خلافاتهم الواسعة، أو حتى عزو أقوالهم وتفريعاتها، فليس موضع بسطها من ضروريات البحث، وننوه أيضاً إلى أنَّ لفظ المحبة ومشتقاتها قد وردت في السياق القرآني للدلالة على أمورٍ عدَّة، لا يتسع المجال لذكرها، حيث سنقتصر على ما يعنينا في هذا المقام وهو التركيز على استخلاص الأسباب والأعمال التي أورثت هذه الأصناف ذلك الخسران المبين، وأوردتهم تلك العاقبة والمصير، وهذا ما سيتأتى بيانه ويتيسر تبيانه خلال هذا المبحث بإذن الله تعالى، وبعد هذه التوطئة اليسيرة نأتي الآن إلى تعداد مجموع هذه الفئات، في المطالب الآتية:

المطلب الأول: المعتدون:

ورد ذكر هذه الفئة في ثلاثة مواضع من كتاب الله الكريم.

الموضع الأول: قال تعالى: **{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}** (البقرة:190).

تفسير الآية: حكى بعض أهل العلم والتحقيق أن هذه الآية هي أول ما نزل في أمر المسلمين بقتال أهل الشرك (الطبري، 2000م، 561/3).

ابتدأ ربُنا تبارك وتعالى هذه الآية بأمرٍ صريحٍ يقضي بقتال أهل الشرك، لكنَّ هذا الأمر ليس على إطلاقه، بل مقيدٌ بمن اعتدى وبدأ بالقتال من المشركين، ويؤيد هذا التقييد النهي التابع له **{وَلا تَعْتَدُوا}** أي بالبداءة بالظلم والاعتداء، على مَن لم يُبح لكم ابتداءه بالقتال، إما بعهدٍ، أو بغير دعوةٍ لمن لم يبلغه أمر الدين، أو قَتْل النساء والصبيان، أو غير ذلك من أنواع الخيانة والغدر، وفيه نهيٌ عامٌ عن مجاوزة جميع ما حدَّه الله تعالى. وسُمي الظلم اعتداء؛ لأنه ميلٌ عن الحق، وحُذِفَ متعلق الاعتداء في الآية اختصاراً؛ ليفيد زيادة المعنى، وهذا من أعمق أفانين البلاغة، ويُشدِّد تبارك وتعالى حكم الاعتداء وعاقبته في ختام الآية بقوله: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}** أي: الذين يجاوزون حدوده، فيستحلُّون ما حرَّمه الله عليهم، من قتلٍ وظلمٍ وغير ذلك (الطبري، 2000م، 561/3، البقاعي، 108/3).

الموضع الثاني: قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}** (المائدة:87).

تفسير الآية: لما أثنى الله تعالى في الآية السابقة وهي قوله تعالى: **{وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}** (المائدة:86) على النصارى بأن منهم قسيسين ورهباناً، وكان مِنْ عادتهم الاحتراز عن طيّبات الدنيا وملذّاتها، أوهم ذلك المدح ترغيب المسلمين في اقتفاء طريقتهم، فذكر تعالى عُقيب ذلك ما يُزيل هذا الوهم، ويُظهر للمسلمين أنهم ليسوا مأمورين بذلك، حيث إنه كان أناسٌ من المسلمين، قد حرَّموا على أنفسهم النساءَ، وامتنعوا عن الطَّعام الطيّب، وأراد بعضهم أن يقطع ذَكَره، فنزلت هذه الآية عتاباً ونهياً لهم(الرازي، 1420هـ، 416/12).

وهنا أطلق جلّ ثناؤه النهي عن تحريم ما أحلَّ لهم من الطيبات، ولكنه حذَّرهم على الاقتصاد والاعتدال، وحذَّرهم من مجاوزة الحدّ، أو الإسراف والاعتداء بتجاوز الحلال إلى الحرام، مؤكداً أنَّ من تجاوز الاعتدال فهو مندرجٌ تحت مُسمى المعتدين، وعاقبة هذه الفئة انتفاء محبة الله عنها، واستحقاقها لغضبه(الطبري، 2000م، 561/3، الرازي، 1420هـ، 416/12).

الموضع الثالث: قال تعالى: **{ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}** (الأعراف: ٥٥).

تفسير الآية: حثّ تبارك وتعالى في هذه الآية عبادَه أن يُفردوه بالدعاء والعبادة دون سواه، ثم أرشدهم وعلَّمهم آداب الدعاء، فقال: **{ تَضَرُّعًا }** أي: تذلُّلاً واستكانةً لطاعته، **{ وَخُفْيَةً}** أي: بخشوع قلبٍ، وصحة يقين، لا جهارًا ومراءاةً.

وقد يكون الإخفاء أمراً معتبراً في الدعاء، بدلالة هذه الآية، ويؤيد ذلك أنه تعالى أثنى على نبيه زكريا عليه السلام فقال: **{إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا}** (مريم:3)، وأيضاً ما ورد في الحديث الشريف: «خيرُ الذكرِ الخفيّ» (أحمد بن حنبل، 1995م، 226/2، ابن حبان، 1993م، 91/3، الألباني، 1995-2000م، 451/4). وانتصاب **{تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً}** على الحال، أي متضرعين ومُخفين، أو ذوي تضرعٍ واختفاءٍ في دعائكم.

مؤكداً تبارك وتعالى أنَّ هذا هو المنهج الذي يرتضيه من عباده، وأنَّه لا يحب المعتدين المجاوزين ما أُمروا به في كل شيء، بما في ذلك الاعتداء بالدعاء على الغير بالشر، أو رفع الصوت والصياح بالدعاء، أو الإسهاب والإطالة فيه (الطبري،2000م،485/12، الزمخشري 1407هـ، 111/2).

فمن هم المعتدون؟:

الاعتداء في اللغة: أصله تجاوز الحد، والتَّعَدِّي: مُجاوَزَةُ الشَّيْءِ إلى غَيْرِه، يُقَالُ: عَدَّيْتُه فتَعَدَّى أي تَجاوزَ، ومنه قيل: عدَّاء جاوزه إذا جاوز قدره، وسُمي العَدْو عدوّاً لتجاوز حدّ السعي والمشي، والاعْتداءُ والتَّعَدِّي والعُدْوان: الظُّلْم. (الأزهري، 2001م، 70/3، الرازي، 1999م، 203/1، ابن منظور، 1414هـ، 33/15).

وفي الاصطلاح: المعتدي: هو المجاوز ما أُمر به، الذي يسعى بالفساد بين الناس ويظلم غيره، ويدعو بالإثم والقطيعة. (الأصفهاني، 1979م، ص554).

ومن مجموع الآيات ومفهوم اللفظ يتضح لنا أن الاعتداء عموماً هو: مجاوزة الحدّ في كل شيء، حتى في العبادة والذكر والدعاء، **والمعتدون هم**: الذين يتجاوزون حدود الله، فيعتدون على النفس بالإيذاء أو القتل، وعلى الأموال بالسرقة أو الاحتيال، وعلى الأعراض بالغيبة والنميمة والقذف، وهم أيضاً الذين يتجاوزون ما أحلَّ الله إلى ما حرَّمه عليهم، فيصوموا دون إفطار، ويعتزلوا النساء، وهم أيضاً أنفسهم الذين يعتدون بالدعاء والذكر، والمراد بالاعتداء في الدعاء الخروج فيه عن الوضع الشرعي، وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: «سيكون بعدي قومٌ يعتدون في الدعاء، وتلا هذه الآية»(أحمد بن حنبل، 1995م، 229/2، ابن حبان، 1993م، 166/15، التبريزي، 1985م، 131/1). ومن الاعتداء في الدعاء أيضاً كما ذكر بعض أهل

العلم_ أن تسأل الله ما لم تجرِ سنته بإعطائه أو أيجاده، كأن تسأله بأن يجعلك نبياً، وكذا أن تدعوه بأن يعينك على الزنا أو السرقة، وغيرها من الفواحش (الطبري،2000م، 485/12، الزمخشري 1407هـ، 111/2).

المطلب الثاني: المفسدون:

انتفت محبة الله عن هذه الفئة في ثلاثة مواضع من كتاب الله الكريم.

الموضع الأول: قال تعالى: { **وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**} (البقرة: 205).

تفسير الآية: يُروى أن الآية نزلت في الأخنس بن شُريق، كان حُلو الكلام، حَسَنَ المنظر، فاجرَ السريرة، فصنع بثقيف ما صنع بهم من قتلٍ وحرق (الطبري،2000م، 237/4).

والمعنى: إذا أدبر هذا المنافق _أو غيره من المنافقين_ مِنْ عندكَ يا محمد، منصرفًا عنك غاضبًا منك، فتيقَّن أنَّه سيعمل في الأرض بالإفساد، وإهلاك الحرث والنسل، أي: الزرع والوَلَدْ، قال الزجّاج: "يحتمل أن يراد بالحرث النساء، وبالنسل نسلهن"(الزجاج،1988م، 277/1، ابن عطية، 1422هـ، 280/1).

هنا جاء التعبير بالسعي دون المشي وغيره؛ كنايةً عن الإسراع في إيقاع الفتنة بجهدٍ بالغ، ونبَّه تبارك وتعالى على كثرة فساد هذا المنافق بقوله: {**فِي الْأَرْضِ** } أي كلّها، للتأكيد بأن سبب سعيهِ ما هو إلا للإفساد مطلقاً، واختصاص نفي المحبة بالفساد دون الهلاك؛ لأن الهلاك قد يكون صلاحاً، كما هو الحال في القصاص وغيره، أما الإفساد فثابتٌ ضررهُ حتى وإن كان عن غير قصد، ونفيُ المحبة منه _تبارك وتعالى_ عبارةٌ عن نفي الرضا عن العبد بالفساد، بل وغيره من المعاصي جميعها(البقاعي، 172/3).

الموضع الثاني: قال تعالى: {**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**} (المائدة:64).

تفسير الآية: هذا إخبارٌ منه تبارك وتعالى عن جرأة اليهود على ربهم، ووصفهم إيَّاه بما ليس من صفته، وما لا يجوز في حقِّه، توبيخًا منه _عزَّ وجلّ_ لهم، وتعريفًا لنبيِّه بجهلهم وضلالهم، وقد ذكر ربنا سبحانه في هذه الآية بعض صفاتهم الممقوتة وأساليبهم الخبيثة، كالفتنة، والتأويل، والجرأة، وغيرها من الصفات، مؤكداً بأن ديدنهم الإفساد في الأرض، وعمل المعاصي، والكيد للإسلام، وأنهم بتلك الصفات وغيرها استحقوا لعنة ربهم وغضبه عليهم، وانتفاء المحبة منه تبارك وتعالى كنايةً عن كونه لا يعود عليهم بفضله وإحسانه، ولا يفعل معهم فعل المحب، فلا ينصرُ لهم جيشاً، ولا يُعلي لهم كعباً، ولا يُصلحُ لهم شأناً(الطبري،2000م، 461/10).

الموضع الثالث: قال تعالى: {**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**} (القصص:77).

تفسير الآية: بعد أن ذكر الله تعالى قصةَ قارون وهلاكه، وفرحه _الذي هو فرح البغي_ توالت له النصائح من مؤمني قومه تترا، بابتغاء الدار الآخرة، وطلب نعيمها وثوابها، خصوصاً بالحلال في الكسب، أو بالصدقة، وصلة الرحم، وحثِّه بالمقابل أن لا يترك نصيبه وحظَّه من الدنيا بالقدر الذي يكفيه، بل يعمل فيها بطاعته تعالى، لذا جاءت (مِن) هنا للتبعيض؛ للتأكيد على عدم الانجرار وراء الدنيا، ثم توالى واستمر نُصحهم إياه بالإحسان في الإنفاق والصدقة، وشُكر المولى عزَّ وجلَّ على فضله ونِعمه وإحسانه، بل وترك الفساد والجحود والعصيان والبغي؛ لأن الله لا يُحبّ بغاة الفساد والمعاصي ولا يُقرِّبُهم، وأنَّ العمل الذي لا يحبه الله لا يجوز لعباده عمله، ثمّ يُوثق التوقيع القرآني جواب قارون على قومه باغترارٍ وعُجبٍ، جاحداً لأنعُم الله، زاعماً أنه وصل إلى كل ذلك بعلمه وجهده(الطبري،2000م، 623/19).

فمن هم المفسدون؟:

الفساد في اللغة: ضد الصلاح، وهو مصدر قَوْلك فَسَدَ الشَّيْء يفْسدُ فَسَادًا و فسوداً، فَهُوَ فَاسدٌ و فسيد، وَالفساد: تغيرُّ الشيء عَمَّا كان عليه من الصّلاح، أو إتلاف ما هو نافعٌ للناس، يقال: فسدَ الرجلُ أي: جاوز الصواب والحكمة، وفسدت أخلاقه أي: انحلَّت وانحرفت(الأزهري، 2001م، 257/12، ابن منظور، 1414هـ، 335/3). **وفي الاصطلاح:** زوال الصورة عن المادة بعد أن كانت حاصلة، والفساد عند الفقهاء: ما كان مشروعًا بأصله، غيرُ مشروعٍ بوصفه(الجرجاني، 1983م، ص166)، وهو بذلك لا يخرج عن المعنى اللغوي(ابن عاشور، 1997م، 168/1).

ونستطيع أن نُجمل ونُخصص معنى الفساد _الذي أضافه الله عز وجل لبعض الموصوفين في الآيات السابقة الذكر_ بأنه: قطع الطريق، وإخافة السبيل، وقطيعة الرَحِم، وسفك دماء المسلمين، وإهلاك حرثهم ونسلهم، بل والبغي والتعالي وجحود النعمة، وكذا تعاطي جميع المعاصي والمحرمات، وقد ذكر أهل التفسير وجوهاً عدة لمعنى الفساد في القرآن، منها المعصية، القتل، قطع الطريق، الهلاك، قحط المطر، الخراب، الكفر، السحر، ولكل وجهٍ شواهده من القرآن الكريم، وسُنحيل القارئ إلى

مواضعها تحاشياً للإطالة (ابن الجوزي،1984م، ص470-471).

المطلب الثالث: الكافرون:

انتفت محبة الله عن هذه الفئة في ثلاثة مواضع من كتاب الله الكريم، منها موضعٌ واحدٌ بزيادة لفظ الأثيم:

الموضع الأول: قال تعالى: { **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**} (البقرة:276).

تفسير الآية: أي يُنقصُ الله الرِّبا فيذْهبُ ببركته، ويُهلكُ المالَ الذي يدخلُ فيه، وبالمقابل يُنمّي الصدقات ويُضاعفُ أجْرَها، والنصوص من الكتاب والسنَّة متظاهرة على ذلك بما يغني عن مزيد بيانٍ وإيضاح، مُقرراً جلَّ شأنه في ختام الآية بأنه لا يُحبُّ كل كفَّارٍ، عظيمِ الكفر، مُصرٍّ عليه ومقيمٍ، مستحِلٍّ للربا، متمادٍ في الإثم بأكله، لا يتعظ بموعظةٍ ربه التي وعظه بها في محكم تنزيله، وفي ذلك تنبيهٌ منه تبارك وتعالى أنَّ آخذ الربا _ بارتكابه الآثام _ يصيرُ بحيث لا يتوب؛ لتماديه في ذلك، وإذا لم يتب لم يلقَ المحبة مِن الله، وأنَّ البركة ليست بضخامة الموارد بقدر ما هي في الاستمتاع الطيب والآمن بهذه الموارد، والإتيان بلفظ المبالغة للدلالة على عِظم أمر الربا، ونفي المحبة منه تعالى تقتضي الضد، وهي الكراهية والبُغض(الأصفهاني، 1979م، ص215، الطبري، 2000م، 15/6، سيد قطب، 1412هـ 328/1).

الموضع الثاني: قال تعالى: { **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**} (آل عمران:32).

تفسير الآية: لما اقتضت الآية السابقة _ وهي قوله تعالى: { **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** } _ وجوب متابعته صلى الله عليه وسلم، وأثار المنافقون شُبهة أن محمدا يدَّعي لنفسه مثل ما يقوله النصارى في عيسى، ذكر الله تعالى هذه الآية إزالةً لتلك الشبهة، فأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للكفَّارِ وأهلِ الكتابِ عامَّة: (أطيعوا الله وأطيعونِ)، فإنكم قد علمتم يقينًا صدق رسالتي، وأخْبَر تبارك وتعالى نبيَّه أيضاً أنهم إن تولَّوا وأعرضوا عما أمرتهم به يا محمد _ من اتِّباعك وطاعتك _ فأعْلِمهُم أنَّ الله لا يحبُّ ولا يرضى فِعلَ من جَحَدَ ما عرفهُ من الحق، وأنكرهُ بعد علمِه، بل وتمادى بكفره وإنكاره وضلاله(الطبري، 2000م، 325/6).

الموضع الثالث: قال تعالى: { **لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** } (الروم:45).

تفسير الآية: يُخبر المولى _ تبارك وتعالى _ في هذه الآية بأنه سيجزي من آمن به وبرسوله، وعمل صالحاً مِن فضله الذي وَعَد به عباده المؤمنين يوم القيامة، نافياً محبَّته عن أهل الكفر به، وأنَّه لا يرضى أفعالهم ولا أعمالهم ولا أقوالهم، وهذا تقريرٌ بعد تقرير على سبيل الطرد والعكس، وفي المراد بـــ{ **مِنْ فَضْلِهِ**} يقول الزمخشري: "أي بما تفضَّل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب، وهذا يُشبه الكناية، لأن الفضل تَبعٌ للثواب، فلا يكون إلا بعد حصول ما هو تبعٌ له"(الزمخشري، 1407هـ، 483/3، الطبري، 2000م، 112/20، الرازي، 1420هـ، 106/25).

فمن هم الكافرون:

الكُفْرُ في اللّغة: نقيض الإيمان، وهو سترُ الشيء، ووُصِف الليلُ بِالْكَافِرِ؛ لستره الأشخاص، والزّرَّاع؛ لستره البذر في الأرض، وكُفْرُ النّعمة وكُفْرَانُهَا: سترها بترك أداء شكرها (الأزهري، 2001م، 110/10، الأصفهاني، 1979م، ص714-717).

وفي الاصطلاح: هو العصيان والامتناع عن قبول الحق، وعدم الإيمان به، وجحود الوحدانية والشريعة، قَالَ بعضُ أهلِ الْعلم: الْكفْر على أَرْبَعَة أنحاء: كفرُ إنكارٍ، وكفرُ جُحودٍ، وَكفرُ مُعاندةٍ، وَكفرُ نفاقٍ (ابن الجوزي، 1984، 515/1-517).

والكَفار الأثيم: هو كل كافرٍ بشرع الله وحدوده، أثيمٍ بغشيانه الذنوب وارتكاب المعاصي، والكفَّار صيغة مبالغة، وهو أبلغ من الكفور (الأصفهاني، 1979م، ص714، ابن عاشور، 1997م، 160/15).

المطلب الرابع: الظالمون:

نفى الله محبته عن هذه الفئة في ثلاثة مواضع من كتابه الكريم.

الموضع الأول: قال تعالى: { **وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**} (آل عمران:57).

تفسير الآية: هذه الآية كالمقابلة للآية السابقة {**فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ**} (آل عمران:56) والمتضمنة للوعيد والجزاء لمن كفر من قوم عيسى عليه السلام، حيث علَّق تعالى هنالك العذاب على الكفر، وهنا علَّق توفية الأجر وتقسيم المنازل والدرجات في الجنة على الإيمان والعمل الصالح، وفي هذا النصّ تقريرٌ لجديَّة الحساب وعدالة الجزاء، الذي لا يتسلل إليه ظلمٌ، ولا يُداخلهُ جورٌ بأي شكل، وهو وإن خرج اللفظ مخرج الخبر، فإنه وعيدٌ منه للكافرين به وبرسله، ووعدٌ منه للمؤمنين به وبرسله(الطبري، 2000م، 465/6).

الموضع الثاني: قال تعالى: { **إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** } (آل عمران:140).

تفسير الآية: يُخاطب الله تعالى المسلمين خطاب تسلية وتخفيف عمَّا أصابهم من قَرح _ وهو بالفتح الجِراح، وبالضمِّ ألمها_ (الأزهري، 2001م، 25/4، الزبيدي، 44/7)، وآلامِ حين انهزموا يوم أُحد (الطبري، 2000م، 465/6)، فيقول جلَّ وعلا لهم: إن نال المشركون منكم يوم أُحد، فقد نلتم منهم بيوم بدر، ثم لم يَضْعفُوا عن معاودتكم بالقتال، فأنتم أيها المسلمون أولى أن لا تضعفوا، فهكذا هي أيام النصر وأوقات الظفر والغلبة، نُداولها ونُصرّفها بين الناس، تارةً لهؤلاء وتارةً لهؤلاء (الأزهري، 2001م، 123/14، الجوهري، 1699/4)؛ كلُّ ذلك ليتميز أهل الإيمان، الثابت مِمن هو على حَرْفٍ، فيصطفي الله منكم شهداء، ويختار من أهل الصبر والابتلاء ليكونوا شهداء على الأمم يوم القيامة، فالله لا يحب أهل الظلم، مِمن لا يثبت على إيمانه، أو لا يصبر عند ابتلائه، ولقاء عدُّوه(الزمخشري، 1407هـ، 418/1، سيد قطب، 1412هـ، 480/1).

الموضع الثالث: قال تعالى: { **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**} (الشورى: 40).

تفسير الآية: أي: وجزاءُ سيِّئة المسيء عقوبته بما أوجبه الله عليه، فإذا قُوبلت الإساءة لا بد أن تُقابل بمثلها من غير زيادة، فالسيِّئة الأولى سيِّئة، والثانية مجازاة وإنْ سُمِّيت سيِّئة، ومثل ذلك في كلام العرب كثير، فمن عفا عمَّن أساء إليه_ فغفرها له ابتغاء وجه الله، ولم يعاقبه بها، وهو مقتدرٌ على عقوبته_ ، فأجرُ عفوهِ ذلك على الله، لأن الله لا يحب أهل الظلم الذين يتعدّون على الناس، فيسيئون إليهم بغير ما أذن الله لهم فيه.

وليس المراد بلفظ السيئة هنا ما يقابل الحسنة، كالمعصية التي لا يرضاها الله، بل هي الجزاء، قال الطبري: "سُمي الجزاء باسم الذنب وإن لم يكن سيئة؛ لتشابههما في الصورة، ولأنها تسوء من نزلت به"(الطبري، 2000م، 547/21).

فمن هم الظالمون؟:

أصلُ الظلم في اللغة: هو وضعُ الشيء في غير موضعه، أو أخذُ حقّ الغير، وهذا هو المتعارف والمتفق عليه في كلام العرب جميعاً (الأزهري، 2001م، 278/14، ابن فارس، 1979م، 468/3)، **وفي الاصطلاح** أجمع ما قيل فيه: التَّصَرُّف فِيمَا لَا يملك، ومجاوزة الحد، والتعدي على الخلق (ابن الجوزي، 1984م، ص426، الجرجاني، 1983م، ص144، المناوي، 1356هـ، 134/1).

أما في آيات القرآن الكريم _بما يُعرف بالوجوه والنظائر_ فقد جاء معنى الظلم على أوجهٍ، أوردها أهل التفسير، وسنوجزها في الآتي: ورد الظلم بمعنى الشرك، وبمعنى فعل الذنب من غير شرك، وبمعنى النقص، وبمعنى الإضرار بالنفس، وبمعنى السرقة، وبمعنى الجحود للرسالة أو الكتب السماوية أو المعجزات كلها أو بعضها، ولكل وجهٍ من هذه الأوجه شواهده التي لا يتسع هذا المقام لعرضها وبسطها (ابن الجوزي، 1984م، ص427-428).

فالظالمون إذاً هم: الذين يظلمون أنفسهم وغيرهم بارتكاب ما نهى الله عنه، وهم ذاتهم أهل الكفر والفسوق والاعتداء والبغي والفساد، وعاقبة الظالم وخيمة وعقوبته عاجلة وآجلة، ففي الدنيا تقتحمه الأمراض والعلل، ويُحرم من الإحساس بالأمان والاستقرار، وتكتب له سوء الخاتمة، وفي الآخرة يكون من الخاسرين وأهل السعير.

ومن مجموع التعاريف والشواهد والأوجه سابقة الذكر يتبين لنا أنَّ الإنسان قد يكون ظالماً لنفسه أو لغيره، فظلمه لنفسه يكون بالشرك الذي هو أشد أنواع الظلم _وحين نقول الشرك لا ينحصر في عبادة غير الله تعالى، بل يندرج تحته نسيان الخالق والتعلُّق بالمخلوق، والاتكال على غير الله، فتظن أن رزقك وخوفك وسعادتك بيده المخلوق_ ومن ظُلم النفس أيضاً ضعفها عند الابتلاء، وعدم ثباتها على الإيمان والتُقى، وكذا تدنيس النفس بالآثام والذنوب والمعاصي، أمَّا الظلم المتعلق بالغير فأخذُ حقوق الناس ظلماً وعدواناً، أو وضع الشيء في غير موضعه، وشواهد ذلك من الكتاب والسنَّة أكثر من أن تُحصى.

المطلب الخامس: المختال الفخور:

نفى الله محبته عن هذا الصنف من الناس في ثلاثة مواضع من كتابه الكريم.

الموضع الأول: قال تعالى: { **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا**} (النساء:36).

تفسير الآية: أرشد تبارك وتعالى في هذه الآية إلى سائر الأخلاق الحسنة، فذكر منها عشرة أنواع، قد تندرج تحتها جميع المحاسن والقِيم الأخرى، صدَّرها _جلَّ ثناؤهُ_ بأصل وقوام كل شيء وهو التوحيد، فأمر عباده بإفراده بالعبادة، وهذا شاملٌ لأعمال القلوب والجوارح، ثم ثنَّى بأمرٍ عظيم، فوصَّى بالوالدين براً وإحساناً، وبصلة ذوي القربى، وباليتيم رعايةً وكفالةً، ثم بإعطاء المسكين وذوي الفاقة، ثم بالجار من ذوي القرابة والرَحِمْ، بل والجار الجُنب مِمن لا قرابة بينك وبينه (الزبيدي، 185/2، الجوهري، 1987م، 101/1) ، وكذا الصاحب بالجنب المرافق لك بالسفر، وابن السبيل المارّ عليك، ضيفاً كان أو مسافراً، ثم يختتم ربنا التوجيه بالإحسان إلى مِلك اليمين من الموالي والعبيد.

منوهاً _جلَّ ثناؤه_ أن هذا الإحسان والتواضع هو السلوك الذي يُحبه ويرتضيه مِن العبد، ومُصرّحاً بأنه لا يحب من كان ذا خُيَلاء وكبرياء، مفتخراً على العباد بما أنعم الله عليه من آلائه، وبسط له من فضله (الطبري، 2000م، 333/8، الرازي، 1420هـ، 77/10).

الموضع الثاني: قال تعالى: { **وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**} (لقمان:18)

تفسير الآية: تستكمل هذه الآية الوصايا الخالدة مِنْ سيدنا لقمان لابْنِهِ، حيث انتقل به إلى باب المعاملات الإنسانية، فنهاهُ عن احتقار الناس أو الفخر عليهم، وعن تصعير الخدِّ والإعراض بالوجه والميل به؛ تكبراً واستحقاراً _ وأصل الصعر: داءٌ يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها حتى تلفت أعناقها عن الرأس_ (الأزهري، 2001م، 19/2) ، مؤكداً له أنَّ الله جلَّ ثناؤه لا يُحب كلَّ متكبرٍ، ذي فخرٍ على الغير.

ونلاحظ مِن دقَّة النظم القرآني وبلاغته في الختم بالفواصل أنه جاء بالمختال مقابلاً للماشي مرحاً، وجاء بالفخور مقابلاً للمُصعِّر خدَّه كِبراً، وانتصاب { **مَرَحًا** } على الصفة لمفعولٍ مطلق، أي مشياً مرحاً(الزمخشري، 1407هـ، 497/3).

الموضع الثالث: قال تعالى: {**لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**} (الحديد:23).

تفسير الآية: أي لا تأسوا على مَا فَاتَكُمْ من الدنيا الفانية فلم تدركوه منها، ولا تفرحوا بالذي أعطاكم منها ربكم وملَّككم إياه، وتأوَّله ابن عباس رضي الله عنه بقوله: "الصبر عند المصيبة، والشكر عند النعمة" (الطبري،2000م، 197/23) ، فإن الله لا يحبُّ ولا يرضى ولا يُقرِّبُ إليه مَن كان متكبراً على الناس، تائهاً بما أُوتي من حظٍ، فخورٌ بذلك على مَن هم دونه، يُعدِّدُ ما أعْطى، وينسى ويغفل عن شُكْرِ المُعطي.

فمن هو المختال الفخور؟:

المختال: اسم فاعل من اختال إذا كان ذا خُيلاء، فيقال: خالَ الرجلُ يخولُ خولاً إذا تكبَّر وأعجب بنفسه، فينظر إلى نفسه بعين الافتخار، والخُيلاء: الكِبْر والازدهاء، وصيغة الافتعال فيه للمبالغة في الوصف (الأزهري، 2001م، 228/7، الجوهري، 1691/4) ، والفخر: هو عدُّ المناقب على سبيل التطاول بها والتعاظم على الناس، والفخور: الشديد الفخر بما فعل، الذي ينظر إلى الناس بعين الاحتقار(ابن فارس، 1979م، 480/4، ابن منظور، 1414هـ، 49/5).

وكلا الوصفين هنا منشأ للغلظة والجفاء، فهما ينافيان الإحسان المأمور به في الشرع، لأن المراد الإحسان في المعاملة، وترك الترفُّع على مَن يُظنّ به سببٌ يمنعه من الانتقام، وعليه **فالمختال الفخور هو**: الذي يختال ويزهو في المشي، ويَفْخَر بنسبِه ومالِه، الذي يأنَفُ من ذوي قرابته إنْ كانوا فقراء، ومن جيرانه إذا كانوا ضعفاء، ومن اليتامى لاستضعافهم، ومن المساكين لاحتقارهم، ومن ابن السبيل لبُعدهِ عن أهله وماله، ومن مماليكه لتملُّكه أمرهم(الزمخشري، 1407هـ، 497/3، ابن عاشور، 1997م، 51/5).

المطلب السادس: الخائنون:

ورد ذِكر هذه الفئة في ثلاثة مواضع من كتاب الله الكريم، أحدها بزيادة لفظ الأثيم، والآخر بزيادة لفظ الكفور، وكلا الوصفين _الأثيم، والكفور_ قد سبق بيانهما في موضعهما، لذا سنقتصر على توضيح معنى الخيانة فقط.

الموضع الأول: قال تعالى: { **وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا** } (النساء:107).

تفسير الآية: روى بعض أهل العلم أن هذه الآية نزلت خاصة في طعمة بن أُبيرق، وإن كان كذلك فهو أيضاً لفظٌ عامٌّ يندرج تحته أصحابُ النازلةِ، ويتقرَّر به توبيخهم (الطبري، 2000م، 190/9، ابن أبي حاتم، 1419هـ، 670/2).

والمعنى: لا تحاجج يا محمد أو تخاصم عن الذين يخونون أنفسهم بالمعصية _كطُعْمَة ومَنْ عاونه من قومه ممن عُلِم كونه سارقاً_ فإنّ الله لا يحبُ الخوَّان الأثيم.

وقد أُضيفت الخيانة للنفس؛ لأن ضرر معصيتهم راجعٌ إليهم ولاحقٌ بهم، وصيغة المبالغة تدل على كثرة الخيانة والإثم منهم، وفي أكناف النظم القرآني إيحاءٌ جليّ وهو أن الذين لا يحبهم الله لا يجوز أن يُجادلَ أو يُحاجَجَ عنهم أحدٌ قال الرازي: "وإنما قال تعالى لطُعمة ولمن ذبَّ عنهم: إنهم يختانون أنفسهم؛ لأنَّ من أقدم على المعصية فقد حَرَم نفسه الثواب وأوصلها إلى العقاب، فكان ذلك منه خيانةً مع نفسه"(الرازي، 1420هـ،213/11).

الموضع الثاني: قال تعالى: { **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** } (الأنفال: 58).

تفسير الآية: قيل: نزلت في بني قريظة، وقيل: بل هي عامة (الطبري، 2000م، 25/14)، **والمعنى**: وإما تخافن يا محمد، من عدوٍ _بينك وبينه عهدٌ وعقد_ أن ينكثَ العهد، أو ينقضَ العقد، ويغدرَ بك، فانبذ إليهم أي: اطرح وألقي (ابن فارس، 1979م، 380/5) ، وناجزهم بالحرب، وأعْلِمهم قبل حَرْبِك إياهم أنَّك قد فسخت العهد بينك وبينهم، فيأخذوا للحرب آلتها، وتَبْرأ أنت ومن معك من الغدر، لأن الله لا يحب الخائنين في العهود؛ وبما أنهم متصفون بالخيانة فلا تستمر على عهدهم فتكون

معاهداً لمن لا يحبهم الله(الطبري، 2000م، 25/14، الزمخشري، 1407هـ، 231/2).

الموضع الثالث: قال تعالى: { **إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ**} (الحج:38).

تفسير الآية: أي: إن الله يدفعُ غائلةَ المشركين عن الذين آمنوا بالله وبرسوله، ويُعلي حُجَّتهم ويُوفِّقهم، وفيها بشارةٌ للمؤمنين بإعلائهم على الكفار وكفّ بوائقهم عنهم، قال الطبري في تأويل المراد: "وهنا ذكر تبارك وتعالى المدافعة ولم يذكر ما يدفعه؛ حتى يكون أفحمَ وأعظمَ وأعمَّ" (الطبري، 2000م، 642/18، الزمخشري، 1407هـ، 159/3).

ويُقرر ربنا تعالى أنَّه لا يحبُّ كل خوّانٍ كفور، يخونُ الله فيخالفَ أمْرَه ونهيَه، شديدُ الكفرِ يجحدُ أنْعُم الله، فلا يعرف لمنعمها حقَّه فيشكره عليها، وقد أفادت لفظة (كل) في سياق النفي عموم نفي محبة الله عن جميع الكافرين، إذ لا يحتمل المقام غير ذلك، فلا يُتوهَّم من قوله: { **لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ**} أنَّه يحب بعض الخوانين. (البغوي، 1420هـ، 342/3).

فمن هم الخائنون؟:

الخيانة في عمومها: ضد الأمانة، وهي في اللغة: الانتقاصُ ونقضُ العهد، يقال: خَانَهُ يَخُونُهُ خَوْنًا: وذلكَ نُقْصَانُ الْوفَاءِ، ويُقال: تَخَوَّنَنِي فُلَانٌ حَقِّي، أَيْ: تَنَقَّصَنِي(الجوهري، 1987م، 2109/5، الأزهري، 2001م، 231/2).

وفي الاصطلاح: الخيانة: مخالفةُ الحقّ بنقضِ العهدِ في السِّرّ، والتفريط في ما يُؤتَمن الإنسان عليه، والاختيان: مراودة الخيانة، واختيان الأنفس: هو بما يعود عليها من الإثم والعقوبة في الدنيا والآخرة(الأصفهاني، 1979م، ص305، ابن الجوزي، 1984م، ص281).

ولفظ الخوَّان: صيغة مبالغة، وهو الذي تتكرر منه الخيانة، والأثيم: هو الذي يقصدها، ويُطلق الخوَّان ويُراد به الكافر؛ لأن الكفرَ خيانةٌ لعهد الله الذي أخذه على المخلوقات بأن يوحّدوه ويُفردوه بالعبادة، فجعله _جلَّ شأنه_ مُلازماً للفطرة، ويُطلق اللفظ أيضاً ويُراد به الغادر بعهدهِ وأمانته وقَسَمِه الذي أقسمه، كالوالي لإدارة شؤون رعيتهِ، والطبيب لرعاية مرضاه، والمحامي لحفظ حقوق المظلومين، وغيرهم من أصحاب المهن والمسؤولية، ممن يُوكل إليهم أمور غيرهم. (ابن عاشور، 1997م، 272/17).

المطلب السابع: المجاهرون بالسوء من القول:

انتفت محبة الله عن هذه الفئة صراحةً في موضع واحد من كتاب الله، قال تعالى: {**لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا** } (النساء:148).

تفسير الآية: أي لا يحبُ الله أن يدعوَ أحدٌ على أحدٍ بالسُوء من القول، إلا أن يكون مظلوماً، فإنَّه قد أرخَص له _تبارك وتعالى_ أنْ يدعوَ على من ظلمه، وإنْ امتنَّ وصبرَ فهو خيرٌ له، وهذا استثناءٌ متصل، بتقدير مضافٍ محذوف، أي: إلا الجهر ممن ظُلم، فالله سميعٌ لدعاء المظلوم، عليمٌ بعقاب الظالم(ابن عاشور، 1997م، 6/6).

فما هو الجهر بالسوء؟:

الجهر في اللغة: أَصْلُ الجَهْرِ: ظُهورُ الشيْءِ بإفراطٍ، فالجهر بالقول: رفعُ الصوتِ وإعلانه، وإجْهارُ الكلام: إعلانه (الجوهري، 1987م، 618/2، ابن منظور، 1414هـ، 150/4)، وفي الاصطلاح: قوّةُ صوتِ الناطق، وكشفه وإظهاره للكلام المنطوق (ابن عاشور، 1997م، 238/15).

أما السُوء في كلام العرب: فبالضم مأخوذٌ من ساءَهُ يَسُوءُه سَوْءًا وسُوءًا وسَواءً وسَواءَةً، ويُطلق على الاسم الجامعُ لكل ما يسوء، مِن الآفات والدّاء، بل والقبح والمنكر والفجور(الأزهري، 2001م، 89/13، ابن منظور، 1414هـ، 96/1).

قال ابن الجوزي: "السُوء: مَا يسوء، وَسميت الْعَوْرَة سوأة: لأَن كَشفها يسُوء، وقد ذكر أهل التَّفْسِير أَن السُوء فِي الْقُرْآن على أحد عشر وَجهاً:..."(ابن الجوزي، 1984م، ص366-368).

أما المراد بالجهر بالسوء _الذي يجوز لمن ظُلِمَ، والوارد في الآية_ فالمقصود به الشتم والسِباب والدعاء، وقد تأوَّل أهل العلم في تحقيق المراد به وماهيته، فقالوا: أن يدعوَ المظلومُ على من ظلمه، وقيل: أنْ يجهرَ المظلوم بالسوء من القول على من ظلمه بأن يقول: فلانٌ ظلمني، أو هو ظالم، أو نحو ذلك، وقيل: معناه: إلا من أُكره على أن يجهر بسوءٍ من القول، من كفرٍ أو نحوه، فهو مباحٌ له، وقال بعضهم: يجوز أن يكون على البدل، كأنَّه قال: لا يحبُ اللهُ إلا من ظُلِم، أي لا يحب الظالم بل يحب المظلوم(الطبري، 2000م، 333/8، ابن عاشور، 1997م، 6/5-6).

والظاهر من الآية: أنه يجوز لمن ظُلم أن يتكلم بالكلام الذي هو من السُوء في جانب مَن ظَلَمَهُ، ومن ذلك الدعاء على الظالم جهراً، لأن الدعاء عليه إعلانٌ بظلمه وإحالته على عدل الله تعالى، ونظير هذا المعنى كثيرٌ في القرآن الكريم، وذلك مخصوصٌ بما لا يؤدي إلى القذف، والمراد بالجهر هنا ما يبلُغ إلى أسماع الناس، إذ ليس السِرُّ بالقول في نفس الناطق مما ينشأ عنه ضُرّ، وقيَّده تبارك وتعالى بالقول؛ باعتباره أضعف أنواع الأذى، فيُعلم بذلك أنَّ السُوء من الفعل أشدُّ تحريماً، والتشريع القرآني هنا يرسم منهجاً لتطهير النفس والمجتمع، فيدعو للانتصافِ من الظُلم، والحضّ على العفو والسماحة لمن قدر، وتقرير أن الله تعالى لا يحب الجهر بالسوء إلا من مظلومٍ ينتصف لظلمه(سيد قطب، 1412هـ، 792/2).

المطلب الثامن: المسرفون:

انتفت محبة الله عن هذه الفئة في موضعين من القرآن الكريم.

الموضع الأول: قال تعالى: { **وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** } (الأنعام:141).

تفسير الآية: يُعدد _تعالى ذكره_ في هذه الآية الكريمة ما أنعم به على عباده، وامْتنَّ بفضله عليهم، إذ أوجد لهم بساتين مرفوعةٌ من الكروم مما عَرَشها الناس، وأخرى غير مرفوعة، وكذا النخيل والثمر المتعدد أُكله، والزيتون والرمَّان يُشبه بعضه بعضاً في المنظر ويختلف في الطعم، فمنهُ الحلوُ، ومنهُ المُرّ.

والمتأمل في نظم هذه الآية الكريمة قد يجد تنبيهاً رباني يُوحي بأن الاستدلال بهذه النعم على قدرة الصانع الحكيم مقدمٌ على الإذن في الانتفاع بها، وكيف أنَّ الله تعالى أباح لعباده الأكل والتلذذ من هذه الثمار حال ظهورها، وعند نضوجها، بل وقبل إخراج الحق المُفترض بها، ثم أوجب عليهم إخراج الزكاة المفروضة، والتصدق على أهل الفاقةِ والحاجة، دون إسرافٍ في الأكل منها، أو مجاوزة القدر في الإنفاق والعطاء الذي قد يُجحف برب المال، وهذا النهي _منه عزَّ وجلَّ_ نهيُ إرشادٍ وإصلاح، ليُقرّر ميزان الاعتدال بين عباده، ويؤكد أنَّ أصحاب هذا النهج هم أهل محبته، وأن من خالف ذلك وأسرف فقد حرم محبته وكرمه ورضاه، وباء بسخطه وعقابه(الطبري، 2000م، 155/12، الرازي، 1420هـ، 162/13).

الموضع الثاني: قال تعالى: { **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** } (الأعراف:31).

تفسير الآية: استهلال الآية الكريمة نداءٌ وتوجيهٌ إلهي يُبطل ما كان يعتقده أهل الضلال ويزعمونه، مِن لزوم التعرّي بالحج في أحوالٍ خاصة، وعند مساجدَ معيَّنة، إذ كان المشركون قد شرعوا أن غير الحُمس _وهم المتشددون في دينهم ويُقصد به قريش وكل من ولدته من العرب_ (الطبري، 2000م، 184/4، الأزهري، 2001م، 206/4) يطوفون بالبيت عُراة، فأمر تعالى عباده المؤمنين بأخذ الزينة _من الكساء واللباس_ لستر العورة والتجمل عند الاجتماع للعبادة، ولما أمرَهُم بكسوة الظاهر بالثياب _لأن صحة الصلاة متوقفةٌ عليها_ أمرهم بكسوةِ الباطنِ بالطعام والشراب؛ لتوقُّف القدرة عادةً عليها، ثم زجر ونهى عن الاعتداء فيهما _أي زينة الظاهر والباطن وغيرهما_ بوضع شيءٍ من ذلك في غير موضعه؛ لأنَّ كل مُكلَّف نفى الله محبته عنه فقد استوجب غضبه، وسيكون مصيره _بلا شك_ جهنَّم وبئس القرار(البقاعي، 387/7، ابن عاشور، 1997م، 92/8).

فمن هم المسرفون؟:

لأهل اللغة في تفسير الإسراف قولان: الأول: أنه تجاوز الحدّ والقصد، والثاني: ما ذهب منه من غير منفعة، وعليه: فالإسرافُ والسَّرَفُ: تجاوز الكافي من إرضاء النفس بالشيء المشتَهى، أو وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غيرِ مَوْضِعِهِ (الزبيدي، 428/23، ابن منظور، 1414هـ، 184/9).

والإسراف في الاصطلاح _وهو الذي نهى الله عنه في هذه الآيات_ لا يخرج عن المعنى اللغوي المتقدم، وهو مجاوزة القدر وحدّ الاعتدال، والإنفاق في غير طاعة الله، وينشأ ذلك نتيجة أمورٍ عدة، أهمها: جهل المسرف بتعاليم الشرع ونهيهِ عن الإسراف، أو بسبب السعة بعد الضيق _إن لازمه خصوصاً ضعف الرأي وغياب الحكمة في التصرف_، أو بصحبة المسرفين، أو نتيجة الغفلة عن الاعتدال والاستقامة، وعن طبيعة الحياة وحالها، وتناسي أنها دارٌ لا تثبتُ ولا تستقرُ على حالٍ واحد، وهذا كله لا ينضبط _كما أسلفنا_ إلا بالاعتدال المصحوب بمداومة النظر في توجيهات الشرع وسيرة الصالحين وملازمتهم، يقول النحاس في هذا الشأن: "من أنفق في غير طاعة الله فهو الإسراف، ومن أمسك عن طاعة الله فهو الإقتار، ومن أنفق في طاعة الله فهو القوَّام"(النحاس، 1421هـ، 316/1، الشوكاني، 1414هـ، 101/4).

وعليه: فيكون المراد بالمسرفين: الذين يتجاوزون الحدَّ في إخراج الزكاة غُلوًّا، حتى لا يُبقوا لمن يعولونهم ما يكفيهم، وهم أيضاً من يسرفون في الأكل والشرب، بل وكل شيءٍ أُبيح لهم، فالإسراف ينصرفُ إلى العطاء، كما ينصرفُ إلى الأكْل (ابن عاشور، 1997م، 232/8)، ومما يحسُن ذكره في هذا المقام هو نقل ما ذكره بعض أهل العلم والتفسير _كسعيد بن المسيب، ومقاتل، والزهري، وغيرهم_ من أقوالٍ في المراد بالمُسرِف، ونُجملها في الآتي:

الأول: أنه إنفاقُ كلُ المالِ حتى لا يبقى لمن تعولهم شيء، وقد ورد إنكار ذلك في الحديث الشريف عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»(البخاري، 1422هـ، 112/2).

الثاني: تأوَّله بعضهم بمنع الصدقة، وهذا القول وسابقه يشتركان في أن المراد من الإسراف مجاوزة الحدّ، إلا أن الأول مجاوزةٌ في الإعطاء، والثاني: مجاوزةٌ في المنع.

الثالث: المراد به إشراك الأصنام والآلهة في الحرث والأنعام.

الرابع: الإنفاق في معصية الله تعالى (الطبري، 2000م، 175/12، ابن أبي حاتم، 1419هـ، 1465/5، ابن عاشور، 1997م، 123/8).

المطلب التاسع: المستكبرون:

ورد ذكر هذه الفئة في موضع واحد من كتاب الله، قال تعالى: { **لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ** } (النحل:23).

تفسير الآية: لمَّا كان كفارُ مكة ومعاندوها ربما أنكروا الاستكبار الحاصل منهم، وادَّعوا أنَّه لو تجلَّى لهم الحق لآمنوا وأنابوا، عاتبهم الله تعالى على طريق الجواب والإنكار لهم، فقال: { **لَا جَرَمَ**} أي: حقاً ولا محالة أنَّ الله يعلمُ ما يُسرُّ هؤلاء المشركون _من إنكارهم لأنباء الرسل ودعوتهم_ وما يعلنون من كفرهم بالله وفِريتهم عليه، قال الخليل: "لا جرم: كلمة تحقيق ولا تكون إلا جواباً، أي: حقاً أن الله يعلم ما يسرون من أقوالهم وأفعالهم وما يعلنون من ذلك"(ابن منظور، 1414هـ، 94/12، الشوكاني، 1414هـ، 188/3).

وهو تبارك وتعالى لا يحب هؤلاء الذين يستكبرون عن إفراده بالعبادة وتوحيده، أو الاستجابة لأنبيائه، والنفي هنا عامٌ يشمل كل مستكبرٍ ومعاندٍ للحق (الطبري، 2000م، 189/17، البقاعي، 134/11).

فمن هم المستكبرون؟:

الكبير والمتكبر: من أسمَاء الله تعَالى وهو الْعَظِيم ذُو الْكِبرياء أو المتعالي عن صفات الخلق، والكِبْرُ **في اللغة يُقصد به**: العظمة والتجبَّر واحتقار الغير، والكِبْر: الإثمُ الْكَبِير، مأخوذٌ من الكبيرة وهيَ الفَعْلَةُ القبيحةُ مِنَ الذُّنُوبِ، العظيمِ أمرها، والمَنْهِيّ عَنْهَا شَرعًا(ابن فارس، 1979م، 154/5، ابن منظور، 1414هـ، 129/5).

وفي الاصطلاح الشرعي: احتقار الناس والاستعظام عليهم، والامتناع عن قبول الحق، وقد شرح رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الكِبْر وبيَّن ماهيته فقال: «إِنَّ الْكِبْرَ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ» (مسلم، 93/1)، وغمط الناس: الازدراء والاستهانة بهم(ابن الأثير، 1979م، 387/3).

والكِبْرُ رذيلة من الرذائل الاجتماعية، وهو خُلقٌ باطنٌ تصدر عنه أعمال هي ثمرته، فيظهر على الجوارح، والكِبْر من الصفات التي تؤدي إلى هلاك صاحبها، فمن أُعجب بنفسه استعظمها، واستبدَّ برأيه فخسر وخاب، والرسول الأعظم يقول: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ». (مسلم، 93/1).

وفي هذا الشأن نقل ابن قدامة عن سفيان بن عيينة رحمه الله قوله: «من كانت معصيته في شهوة فارْجُ له التوبة؛ فإن آدم عليه السلام عصى مشتهيًا فاستغفر فغُفر له، فإذا كانت معصيته من كِبر فاخْشَ عليه اللعنة، فإن إبليس عصى مستكبرًا فلُعن»(ابن قدامة، 1978م 227/1).

وللكبر أسبابٌ لا تنحصر، لكن من أبرزها كما ذكر أهل العلم: سعةُ العلمِ، وادِّعاء الكمال في العبادة والزهد، فسرعان ما يلازم الكبر بعض العلماء والعُبَّاد، فيستشعروا في أنفسهم علمهم وعبادتهم فيستعظموها ويحتقروا غيرهم، ويتوقعوا من الناس قضاء حوائجهم وتوقيرهم لأجل علمهم وعبادتهم، ومن أسباب الكبر أيضاً: كثرةُ المالِ، والتباهي بالحسب والنسب الرفيع، فهما مدعاة لاحتقار الناس والتعالي عليهم، وعلاجه أن يعرف الإنسان قَدْر نفسه، ويعلم أن هذا الأمر لا يليق إلا به تعالى وحده.

ومن ضمن علاج النفس من الكِبر: أن يلتزم الإنسان العبادة، ويسأل المولى التوفيق ونزع حظِّ الشيطان من قلبه، فلا يتَّكل على عمله واجتهاده، بل يتواضع، فالتواضع من أحبّ الخِصال إلى الله وإلى خَلقِه، وباعثٌ على التآلف، ومحققٌ للحب والودِّ (الغزالي، 35/3، ابن قدامة، 1978م 232/1).

فالمستكبرون إذاً هم: المنكرون لكل ما يسمعون من الحق الذي جاء به رسل الله، ويستكبرون عن قبول الحق والإذعان له، ويُعرضون بوجوههم عن الناس احتقاراً لهم، واستكباراً عليهم، ومن شرِّ أنواع الكِبر ما يمنع من استفادة العلم، وقبول الحق، والانقياد له.

المطلب العاشر: الفرحون:

ورد ذكر هذه الفئة في موضعٍ واحدٍ من كتاب الله، قال تعالى: { **إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ**} (القصص:76).

تفسير الآية: يبيّن تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة أنَّ قارون كان من عشيرة موسى عليه السلام، _ قيل: هو ابن عمه لأبيه وأمه، وقيل غير ذلك، وليس في تعيينه والظفر بتحديده كبير فائدة أو أهمية_ فتجاوز قارون حدَّه في الكِبر والتجبُّر على قومه بسلطانه وكثرة ماله، ويؤكد ربنا تبارك تعالى بلفظ { **وَآتَيْنَاهُ**} أنَّ قارون أُوتي من كنوز الأموال ما إن مفاتحه _وهي جمع مفتح، وهو الذي يفتح به الأبواب، وقال بعضهم: عنى بالمفاتح في هذا الموضع: الخزائن_ (الطبري، 2000م، 617/19، البغوي، 1420هـ، 431/3)، لتنوء: أي لتُثْقِل العصبة _وهم الجماعة من أولي الشدَّة_(الأزهري، 2001م، 385/15، الجوهري، 1987م، 78/1)، فقال له قومه: لا تبغِ ولا تبطر فرحاً، إن الله لا يحب الفرحين من خلقه، أي:

المرحين الأشرين البطرين، والمقصود به هنا فرح البغي والمتعة كما بيَّناه في موضعٍ سابق(الطبري، 2000م، 615/19).

يقول صاحب الظلال مؤكداً: "لا تفرح فرح البطر، الذي يُنسي المنعم بالمال، ويُنسي نعمته، إن الله لا يحب الفرحين المأخوذين بالمال، المتباهين، المتطاولين بسلطانه على الناس"(سيد قطب، 1412هـ، 2711/5، ابن عاشور، 1997م، 178/20).

فمن هم الفرحون؟:

الفرح لغة: نقيض الحزن، وهو لفظٌ يطلق على السرور كما في قوله تعالى: {**وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا**} (يونس:22)، كما يطلق أيضاً وهو المراد هنا على الأشَرِ والبَطَرِ، فالفَرِحُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الأَشِرُ البَطِرُ، يُقَالُ: لَا تَفرَحْ أَي لَا تأشَرْ (الأزهري، 2001م، 150/6، ابن منظور، 1414هـ، 541/2).

وفي الاصطلاح: قال الراغب في المُفردَات: "الفَرحُ هُوَ انشراحُ الصَّدر بلذّةٍ عاجلةٍ غير آجلة، وأكثر ما يكون ذلك في اللّذات البدنيّة الدّنيوية"(الأصفهاني، 1979م، ص628)، وقال ابن القيم: "لذَّةٌ تقع في القلب بإدراك المحبوب ونيل المشتهَى، فيتولد من إدراكه حالةٌ تسمى الفرح والسرور"(ابن القيم، 1996م، 148/3).

والفرح يكون للمنفعة أو المتعة، فالفرح المباح هو فرح المنفعة، وهو إظهار السرور بقدوم غائبٍ أو حصول خيرٍ، وغير ذلك، وكذا الفرح بفضل الله ونعمته ومحبته وهو من أعظم العطايا والمِنح بل وجاء الأمر به، لقوله تعالى: {**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**} [يونس: 58] وقوله تعالى: {**فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**} [آل عمران: 170].

أما الفرح المنهي عنه في الآية فهو المفرَطُ منه لحدِّ المرح، وهو فرح المتعة، أي الذي تمحَّض للتعلُّق بمتاع الدنيا ولذات النفس، وتَبِعهُ عدم شُكر النعمة، بل ولازمه البطر والبغي والتكبُّر والإفساد، قال مجاهد: "مَعْنَى لَا تَفْرَحْ لَا تَبْغِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ الْبَاغِينَ"، ويقول الشاعر:

إذا أنتَ لمْ تبرحْ تؤدي أمانةً ... وتحمل أخرى أفرحتكَ الودائعُ

وهذا البيت استشهد به الجوهري في الصحاح 390/1 ونسبه لبيهس العذري (الجوهري، 1987م، 390/1)، والمراد بـ(أفرحتك الودائع) أي: أفسدتك، وقال الزجاج: الفرحين والفارحين سواء، وفرَّق الفراء بينهما فقال: "معنى الفرحين: الذين هم في حال الفرح، والفارحين: الذين يفرحون في المستقبل"(الفراء، 311/2، النحاس، 1421هـ، 166/3، الشوكاني، 1414هـ، 215/4)

المبحث الثاني: آثار انتفاء محبة الله عن العبد:

لا شكَّ أن محبَّة الله عزَّ وجلَّ للعبد، ونيل رضاه، مزيةٌ لا يمنحها الله إلا لمن اصطفى من عباده، فمحبة الله هي الغاية القصوى من المقامات التي يسعى المؤمن لنيلها وتحقيقها، والذروة العليا من الدرجات التي يتسابق إليها العُبَّاد، ويتنافس بها الزُهَّاد، كونها المُوصلُ إلى كل خيرٍ، والسبيلُ إلى كل نعيم، فما بعد إدراك المحبة مقامٌ إلا وهو ثمرة من ثمارها، وتابع من توابعها، فأمرها عظيمٌ، ومكانتها سامية، إذ هي أصلُ الأعمال الدينية، لكن الأهم هنا هو كيف يُمكن الوصول لهذه المنزلة الرفيعة، وما معنى أن يحبك الله، وما الفضائل المرجوة من هذه المحبة، وبالمقابل ما العاقبة والخسران المترتب إن انتفت عنك محبة الله ولازمك بُغضه وغضبه، كل ذلك سنحاول تقريبه وتحريره في هذا المبحث الوجيز، فنقول:

ليس بخافٍ على أحدٍ أنه قد ثبتت محبته _عزَّ وجلَّ_ لأصنافٍ من الناس، ممن اختصهم الله لمحبته، واصطفاهم لها، وقد خلَّد المولى عز وجل ذكر هؤلاء الأصناف بثنايا كتابه الكريم، وهم: (التوابون، والمتطهرون، والمحسنون، والمتقون، والمقسطون، والصابرون، والمتوكلون، والمتَّبعون للرسول، والمجاهدون في سبيله، والأذلَّة على المؤمنين الأعزَّة على الكافرين)، كما انتفت محبته _جلَّ شأنه_ عن فئاتٍ أخرى، اتسم أصحابها بسماتٍ معينة، فجاء ذكرهم صريحاً في مواضع متفرقة من كتاب الله، وهم: (المعتدون – المفسدون – الكافرون – الظالمون – أهل الفخر والخُيلاء – الخائنون – المجاهرون بالسوء من القول – المسرفون – المستكبرون – الفرحون بغياً)، وقد تفضَّل المولى عز وجل ببيان هاتين الطائفتين صراحةً؛ ليُقتدى ويُتأسى بصنيع من أحسن، وليُحْذَر من اتِّباع سبيلِ من خَسِرَ وخاب، ولم يقتصر ذكرهم بآيات القرآن الكريم فحسب، بل تظاهرت نصوص السنَّة النبوية في تسمية هذه الأصناف والفئات، وإيضاح الأعمال الموصلة إلى ما آلوا إليه.

ومن هنا صار لزاماً أن يكون لنا بمن سبقت لهم الحسنى أسوةٌ، فنقتفي منهجهم ونسلك طريقتهم، وبمن حقت عليهم كلمة العذاب عبرةٌ، فنُغاير منهجهم ونخالف طريقتهم، خاصة ونحن في زمنٍ أحوج ما نكون فيه إلى معرفة الله، وإدراك ما يُقرِّبنا إليه، ويُرضيه عنا، ففي وقتنا الراهن نرى بجلاء انشغال المسلمين عن محبَّة الله وعبادته، بالجري وراء الأهواء وتتبع الملذات والشهوات وحبّ النساء، فحادوا عن الحق، واتبعوا الهوى، وولجوا ظلمة الباطل فأظلمت البصائر، وبات التنافس مُنصبَّاً نحو متاع الدنيا وزينتها، وأضحى التسابق متوجهاً نحو مضمار الفنون وميادين

الإبداع، المناقضة لقِيَم الحياء، والمغايرة لمبادئ الدين الحنيف، بل والتغنِّي بتلك المواهب والمشاعر سرَّاً وعلناً، مما غيَّب عُرى الإيمان عندهم، وأفسد بذور الحياء لديهم، فجلبوا لأنفسهم الذُلُّ والهوان، فتكالبت عليهم الأمم، وتهاوت بهم القمم، فغدوا عبيداً بعد أن كانوا سادةً يدين لهم الشرق والغرب.

وبعد هذه التوطئة اليسيرة للموضوع نأتي إلى بيان الآثار المترتبة على محبة الله للعبد أو انتفائها عنه، فلمحبته _جلَّ شأنه_ للعبد ورضاه عنه آثارٌ، ولبغضه وسخطه آثارٌ، وسنجملها في الآتي:

أولاً: إذا أحب الله العبد وضع القبول له بين الناس بل وفي الأرض جميعها، وإذا سخط عليه بغَّضه إلى أهل الأرض، فمحبة الله للعبد هي الجالب والمهيأ لمحبة الناس له والميل إليه والرضا عنه، وانتفاؤها عنه يَحُول دون ذلك؛ لأنَّ محبة الناس لبعضهم _كما هو معلوم_ مبنيَّة على محبة الله لهم، فإذا أحبك الله رَفَقَ بك، وألقى محبتك في قلوب الخلق، ففي الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، ... قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ»(مسلم، 2030/4).

ثانياً: إذا أحبَّ الله العبد وَهَبَهُ حُسن التدبير، ووفَّقه للعمل الصالح، وشغل لسانه بذكرِه، وسخَّر أركانه لطاعته، بل وهيأ له لتُختم حياته بعملٍ صالح، وبالمقابل مَنْ أبغضه الله وسخِط عليه، جعله يتخبط كالأعمى، وختم له بالخاتمة السيئة.

ثالثاً: من آثار محبة الله للعبد هدايته إلى التواضع وحُسن الخلق، والرفق واللين في التعامل مع العباد، وانتفاء تلك المحبة عنه تُورثُ الكِبر وسيء الأخلاق وقسوة التعامل، فيكون ذلك سبباً في استحقاقه العاقبةُ الأليمة، والمآل المُخزي.

رابعاً: إجابة الدعاء، فإذا أحبَّ الله عبداً أعطاه مسألته وأجاب دعوته، وطهَّر قلبه، بخلاف من سخط عليه وأبغضه فإنه لا يُوفقُ لخيرٍ، ولا يُقبل منه دعاءٌ أو مسألة.

خامساً: إذا أحبَّ الله العبد أكرمه وأثابه، وضاعف له الأجر، وأيَّده بنصره، وأودع قلبه بركاته ونِعَمِهِ على الدّوام، فمن ثمار المحبّة النّعيم والسّرور في الدّنيا الموصّل إلى نعيم وسرور الآخرة، وإذا أبغض الله تعالى العبد عاقبهُ، وسلَّط عليه أنواع البلاء، وأورثه الشقاء والهوان.

سادساً: إذا أحبَّ الله العبد منحه السكينة والحكمة، والرضا عن وجوده وحالِه، فيُسدِّد ظاهره وباطنه، وبالمقابل فحين يُحرم العبد هذه المحبة ويحلّ عليه الغضب والكُره من الله تعالى فلن يجد للتدبير والتوفيق والسكينة والحكمة سبيلاً إلى قلبه، بل وحياته كلها .

سابعاً: إذا أحبَّ الله العبد عطف عليه، فقرَّبه واصطفاه، وأخذ بقلبه فيتبع كل ما يقربه إليه، وينفر عن كل ما يبعد عنه، وتولّاه في جميع أمور معاشه ودينه من غير ذلٍّ للخلق، وتولى تربيته بأحسن وأبلغ مما يربي الوالد الشفيق ولده، بخلاف من حَرِمَ هذا الفضل _مِمنْ أقبل على ملذاته وشهواته_ فإنه قد أوقعَ نفسه سجون المضايق، فحياته عجزٌ وغمٌ وحزنٌ، وموته كدرٌ وحسرةٌ، ومعاده أسفٌ وندامة (الغزالي، 329/4-333، ابن قدامة، 1978م، ص348-349).

الخاتمة:

الحمد لله في المبدأ والمنتهى، وبكلِ وقتٍ وحين، وبعد: فقد توصلنا في ختام هذا البحث إلى الآتي:

أولاً: النتائج: ومِن أبرزها:

- إن المحبَّة والبغض صفتان فعليتان مِن صفات الله جلَّ شأنه، دلَّت عليهما النصوص الوافرة من الكتاب والسنة، وواجبٌ علينا إثباتهما، دون تعطيلٍ أو تحريفٍ أو تشبيهٍ.
- إنَّ محبّة الله وبغضهِ للعبد غير محبّة البشر وبُغضهم لبعضهم، فالمقصود بهما في حقّ الله تعالى: إيصال _أو منع_ الخير والثواب والمغفرة والإنعام والرضا والقبول إلى العبد.
- من آثار محبة الله للعبد إكرامه وإثابته وتقريبه إليه، وجلبُ السعادة له، وتوفيقه إياه، ومنحهُ السكينة والقبول، فيُحبِّب له طاعته والإيمان به، ويُكرِّه له الكفر والعصيان، ويدفع الشواغل والمعاصي عنه، وفي انتفائها عن العبد الضدُّ مما سبق، فيحصل معها العقاب وأنواع البلاء والمصائب، ويُورَّث بها الشقاء والمذلة والهوان.
- أظهرت هذه الدراسة الاهتمام بالجوانب الأخلاقية والقيم الإيمانية، كالإحسان والصلاح والعدل والتواضع...، وترك أضدادها من الاعتداء والفساد والكِبر وغيرها من المعاصي.
- إن الله تعالى نفى محبته عن طوائف مُعينة، وسمَّاها لنا صراحةً في كتابه الكريم، بل وقرنها بأعمالٍ وأسبابٍ أورثتهم ذلك الخسران المبين، ونستطيع أن نجملها ونوجزها في الآتي:

1- الاعتداء على الآخرين، وتجاوز الحد في كل الأمور، من الأخذ والمنع والإنفاق والدعاء.
2- الإفساد في الأرض وقطع السبيل، وإهلاك الحرث والنسل.
3- الكفر والعصيان.
4- الظلم والجور، فكلما كان الإنسان أظلم كان أبعد عن محبة الله.

5- الفخر بالأحساب والأنساب، والخُيلاء واحتقار الناس.
6- الخيانة والغدر ونقض العهد والميثاق.
7- الجهر بالسوء بالكلام في الآخرين والدعاء عليهم بغير وجه حق.
8- الإسراف والتبذير ومجاوزة الحد.
9- الكِبر والتعاظم على الغير، والاستكبار عن عبادة الله.
10- فرح البغي والبطر والأشر، وجحود نعمة الله.

ثانياً: التوصيات والمقترحات: استناداً لنتائج البحث

نُوصي بالآتي:
- أُوصي الباحثين والكُتَّاب بإفراد مثل هذه المواضيع بالبحث والدراسة، بمنهجيةٍ سليمة، متحررة من التبعية والتقليد، خدمةً لكتاب الله، وتقريباً للمحتوى والمضمون، فيسهُل للمُطلع والباحث أَخْذُهُ بسهولة ويُسر، بل ويتسنى للجميع الاستفادة منه دونما مشقَّة وعناء.
- أُوصي الجهات المعنيَّة باعتماد مثل هذه المواضيع الهامَّة ضمن المناهج والمقررات الدراسية؛ لغرسها في نفوس الشباب والناشئة، وتحصينهم والمجتمع من الأفكار المتطرفة، والثقافات الهدَّامة.

وأخيراً هذا ما توصلت إليه من نتائج هامة، وخلُصتُ إليه من مجهودٍ أُقرُّ فيه بالقصور، استنبطتُ وجمعت في ثناياه فئاتٌ مخصوصة من الناس، ممن انتفت عنهم محبة الله تعالى صراحةً في القرآن الكريم، سائلاً المولى القدير أن يُبارك ويُصوّب ما سطَّرتهُ بهذا البحث المتواضع، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه، وهو وحْدهُ يهدي السبيل، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه.

فهرس المصادر والمراجع:

1- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي. (1419هـ). **تفسير ابن أبي حاتم =تفسير القرآن العظيم**. تحقيق : أسعد محمد الطيب. ط3. مكتبة نزار مصطفى الباز: المملكة العربية السعودية.
2- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري. (1979م). **النهاية في غريب الحديث والأثر**. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي. المكتبة العلمية: بيروت.
3- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. (1984م). **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**. تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي. ط1. مؤسسة الرسالة: بيروت.
4- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية. (1996م). **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. ط3. دار الكتاب العربي: بيروت.
5- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان. (1993م). **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط2، مؤسسة الرسالة: بيروت.
6- ابن عاشور، محمد الطاهر. (1997م). **التحرير والتنوير**، ط1. دار سحنون للنشر والتوزيع: تونس.
7- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي. (1422هـ). **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد. ط1. دار الكتب العلمية: لبنان.
8- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني. (1979م). **مقاييس اللغة**. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر: بيروت.
9- ابن قدامة، أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي. (1978م). **مختصر منهاج القاصدين**. قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان. مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ: دمشق.
10- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. (1420هـ - 1999 م). **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق : سامي بن محمد سلامة. ط2. دار طيبة للنشر والتوزيع: الرياض.
11- ابن منظور، محمد بن مكرم. (1414هـ). لسان العرب. ط3. دار صادر: بيروت.
12- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني. (1995م). **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. المحقق: أحمد محمد شاكر. ط1. دار الحديث: القاهرة.
13- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (2001م). **تهذيب اللغة**. تحقيق : محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي: بيروت.
14- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني. (1412هـ). **المفردات في غريب القرآن**. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ط1. دار القلم: بيروت.
15- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين. (1995 -2000م). **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**. ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع: الرياض.
16- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري. (1422هـ). **صحيح البخاري =الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**. تحقيق: محمد زهير. ط1. دار طوق النجاة: بيروت.
17- البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد الفراء. (1420هـ). م**عالم التنزيل في تفسير القرآن =**

تفسير البغوي. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط1. دار إحياء التراث العربي: بيروت.
18- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن بن أبي بكر البقاعي. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. دار الكتاب الإسلامي: القاهرة .
19- التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب العمري (1985م). **مشكاة المصابيح**. المحقق: محمد ناصر الدين الألباني. ط3. المكتب الإسلامي: بيروت.
20- الجرجاني، علي بن محمد بن علي. (1403هـ -1983م). ال**تعريفات**. ضبطه وصححه جماعة من العلماء. ط1. دار الكتب العلمية – بيروت.
21- الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري. (1987م). **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط4، دار العلم للملايين: بيروت.
22- الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. (1999م). **مختار الصحاح**. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. ط5. المكتبة العصرية: بيروت.
23- الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي. (1420هـ). **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**. ط3. دار إحياء التراث العربي: بيروت.
24- الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (المتوفى: 1205هـ). **تاج العروس من جواهر القاموس**. تحقيق: مجموعة من المحققين.
25- الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل. (1988م). **معاني القرآن وإعرابه**. ط1. عالم الكتب: بيروت.
26- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي. (1407هـ). **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. ط3. دار الكتاب العربي: بيروت.
27- السقاف، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف. (2006م). **صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة**. ط3. الدرر السنية - دار الهجرة.
28- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (2003م). **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**. دار الفكر: بيروت.
29- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. (1414هـ). **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**. ط1. دار ابن كثير، دار الكلم الطيب: دمشق، بيروت.
30- الطبري، محمد بن جرير. (2000م). **جامع البيان في تأويل القرآن**. تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة.
31- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (المتوفى: 505هـ). **إحياء علوم الدين**. دار المعرفة: بيروت.
32- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء. **معاني القرآن**. تحقيق : أحمد يوسف نجاتي وآخرون. ط1. دار المصرية للتأليف والترجمة: مصر.
33- القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (1407 هـ)، **الشفا بتعريف** حقوق **المصطفى** . ط2، دار الفيحاء: عمَّان.
34- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (1384هـ - 1964 م)، **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**. تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية: القاهرة.
35- قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (1412هـ). **في ظلال القرآن**. ط17. دار الشروق: بيروت- ط17. 1412 هـ.
36- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري. **صحيح مسلم =المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله** . تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي: بيروت.
37- المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي. (1356هـ). **فيض القدير شرح الجامع الصغير**. ط1. المكتبة التجارية الكبرى: مصر.
38- النَّحَّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد المرادي النحوي (1421 هـ). **إعراب القرآن**. تعليق: عبد المنعم خليل إبراهيم. ط1. دار الكتب العلمية: بيروت.
39- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري. (1994م). **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**. تحقيق وتعليق: عادل عبد الموجود، وآخرون. ط1. دار الكتب العلمية: بيروت.